تاريخية التأويل في الفلسفة الأوروبية

الباحث: بن صابر bensaber محمد Mohamed (*)
المشرف: أ. د سواريت بن عمر (**)

الإرسال:	2018/07/04	القبول:	2019/05/28	النشر:	2019/06/30

الملخص باللغة العربية:

مفهوم التأويل في الأصول الفكرية والنظرية للخطاب الفلسفي له جذور معرفية، فهو شكل من الفهم والتفسير يتراوح بين جدلية قصد المؤلف وقصد النص وسيطا أوليا، يعقبه إهتمامات المؤول الذي قد يكون عمله شرح جملة أو حتى كلمة لكن قد يتعلق الأمر بمؤلف كتاب، قصيدة، فكرة، كاتب، أو بالروح السائدة في عصر ما. حسب "غادامير" الفهم برأيه ليس مجرد منهج علمي، بل هو طريقة كينونة الوجود الإنساني وبها ينظم الوجود العالم. وتتطور صيرورة الفهم بإتباع دائرة تأويلية يتم في وسطها تفسير الجزء إنطلاقا من الكل والكل إنطلاقا من الجزء وبهذا تعتبر الأحكام المسبقة التي تتناول كلية المعنى أحكاما ضرورية، على أن تكون واعية وقابلة للتصحيح. وإهتم "بول ريكور" بالرموز التي هي علامات لها معنى مزدوج وهي في حالة حضورها تحيلنا إلى معنى يفتح للإنسان مجالا أرحب من الوجود يقول: "يحملنا الرمز على التفكير" هذا يظهر لنا أن الرمز يشير إلى الفكر بواقع لا يمكن له أن يدركه من ذاته وقد ميز "ريكور" بين ثلاث أبعاد في الرمز بعد كوني، بعد حلمي وبعد شعري.

الكلمات المفتاحية: التأويل، الخطابة، الهرمينوطيقا، التفسير، الفهم، اللغة.

* - طالب دكتوراه علوم، تخص فلسفة، جامعة وهران 2 ، المخبر [عضو في مخبر فلسفة وتاريخها]، [bensabertl@gmail.com]

** - أستاذ في كلية العلوم الإجتماعية، قسم فلسفة جامعة وهران2، [omar@yahoo.frsaraute]

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: The concept of interpretation in the intellectual and theoretical origins of philosophical discourse has epistemological roots, it is a form of understanding and explanation, so is in function between the dialectic of the intention of the author, or that of the text the concerns of the interpreted. Mediator initially, followed by the inconxience of the interpretant, What you might have to explain a sentence or even a word, but it can be related to the author of a book, a poem, a thought, author, or the spirit of an era.

According to Gadamer understanding is not just a scientific method, but it is the human existence entity, and it is through the latter that the existence organizes the world. The process of understanding is developed by following a circle of interpretation that explains the game from the beginning and the end of the game. And consider prejudices which treatment the overall meaning provisions necessary to be aware and evolving correction.

Paul Ricoeur was interested in symbols that are two-way marks, these marks lead us to a hidden meaning that opens to man a wider field than existence, he says: "the symbol gives to think" that shows that the symbol indicates to the thought with. Paul Ricœur distinguishes three dimensions of the symbol: cosmic dimension, dream dimension, and the poetic dimension.
Keywords: interpretation, rhetoric, hermeneutics, explanation, comprehension, Language.

مقدمة:

التفكير في مفهوم التأويل من جهة وفي فلسفة التأويل من جهة أخرى يقتضي تزاوج مجموعة من الوحدات التقنية والنظرية لتأسس الإشكاليات الجوهرية، اللانهائية فالتأويل بإعتباره خطابا تتشابك حوله مجموعة من المعارف الإنسانية، وإن إختلفت من حيث الموضوع فهي واحدة من حيث المنشئ لهذا فالأصول الفكرية والنظرية للخطاب التأويلي له جذور معرفية وجينيالوجية قديمة. قبل تشريح وتحليل

كل بناته وعناصره وجب أن نتساءل تساؤل ضروري وشرعي ما التأويل؟ ما علاقته بالفهم والتفسير؟ هل هو فن أم علم؟ هذا ما سنبرزه من خلال هذا المبحث الذي هو عبارة عن جواهر تعتبر معطيات مفتاحيه لإشكالية التأويل.

أولا وجب أن نبحث عن التأويل وماهيته كأول خطوة أو مرحلة حتى نعمق من تصوراتنا، إذ يعرفه المعجم الفلسفي jacqueline Russ[1] إيتمولوجيا بأنه ذو أصل لاتيني مشتق من المصدرinterpretatio أي بمعنى تأويل وتفسير. وأول interpréter أصلها لاتيني وتعني شرح وإدخال المعنى وإيجاده في النصوص وفي التعريف العام يعرف أنه الشرح والتفسير وجعل الشيء قابل للفهم وهو الإدراك والتصور، والتمثل الذهني وهو الإشارة أو الدلالة الأصلية لتأويل النصوص المقدسة، وهو تأمل فلسفي تأويلي على الرموز الدينية والميثية(الأسطورية) هذا حسب المعجم الفلسفي لأندريه لالاند[2] lande, la André وبصفة عامة كل شكل للتعبير الإنساني في مقابل التحليل الموضوعي ويستعمل التأويل لكل ما هو رمزي(التماثل والإستعارة) وهو إرادة علمية لكل النصوص الصعبة.

لقد إختلف الفلاسفة في ضبط مفهوم التأويل، فإختلفت التعريفات بإختلاف الفلاسفة، فنجد الفيلسوف الفرنسي "فرنسيس بيكون" يعرفه لأجل وضوح أكبر نسمي العقل الإنساني المفروض على الطبيعة لأنه يتصرف بتهور وبتعجل بتوقيعات الطبيعة، كما نسمي هذا العقل المستوحي من الأشياء بتأويل الطبيعة بحسب المنهج المطلوب.[3] أما ديلتاي Dilthey فيعرفه في فهم التجليات المكتوبة للحياة بالتفسير والتأويل وفي التحليل النفسي مع فرويد Freud يرى أن الفعل"أول" يعني وجد معنا مختبئ ويقصد بالتأويل العلامات المرضية وخاصة الأحلام عندما يعتبر المؤول أو المحلل ما ظهر للعين والفكر إشارات لمحتوى باطني حقيقي يكون هو التعبير الصحيح عن المرض أو عن المكونات الحياتية للحلم فيربط بين المعنى المحتوى الظاهر والمحتوى الباطني.[4]

1-jacqueline Russ ,dictionnaire de philosophie, bordas,1991,p150

2-André la lande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, neuvième édition, 1962,puf,p75.

3 -ibid,jacqueline Russ , p150

4 - ibid, p153

يعرفه فيلسوف الإنسان الأعلى"نيتشهNietzsche" المعرفة تأول و تتخذ معنا فهي لا تفسر ويعني التأويل عنده القيمة الأخلاقية التي نجدها في المجتمع على مستوى حضاري، ثقافي، تاريخي فالعمل بها هو محتوى ظاهري والرجوع إلى التسلسل الذي أوجدها بمعنى ماضيها هو التأويل .[1]

أما"ليبنزLeibniz" يعرفه بأنه مرادف للإستقراء وهو البحث عن علل الأشياء والإرتقاء منها إلى العلة الأولى وهي الله، وما يسميه الفيلسوف إستقراء يسميه اللاهوت تأويلا والغرض من الطريقتين معرفة الأشياء[2].

المفهوم البارز الثاني هو التفسير explication ويعرفه المعجم الفلسفي jacqueline Russ إتمولوجيا هو ذو أصل لاتيني explicatio أي بمعنى عملية التبسيط والتوضيح، فجعل الشيء واضحا هو جعله مفهوما بطرح الأسئلة التالية: كيف هو الشيء؟ لماذا؟ لهذا فإن التفسير يعني شرح لغوي لنص من النصوص [3]. في التعريف العام يعرف بأنه معرفة الشيء بالتفصيل عن طريق التعليل وتبيان السبب وهو يعني التطور وهو جعل الشخص يفهم شيء معين، عن طريق سلسلة من الكلمات أو الكتابة أو الحركات كذلك يعني الشرح اللغوي أو المذهبي لنص ما خاصة النصوص الدينية، إنه مرحلة أو شكل من الدراسة العلمية تقوم على كشف جوهر الموضوع الذي تجري دراسته [4].

في المعنى الحديث التفسير هو الدلالات والمعاني التي تعوض بواسطة دلالات مكتفة معقدة وفي هذا فهو يقترب من مفهوم التأويل. كذلك يعني التحليل والتعليق والنقاش والجدل والتوضيح وهو أصلا في اللغة يعني توضيح النصوص المقدسة والغامضة فلسفيا نجد الفيلسوف"برجسون Bergson" يعرفه أنه كل تفسير علمي يمكن تعريفه فرضية تثبتها التجربة، فليس هناك تفسير علمي لا يكون نتاج لعمل عقلي ولا يضمحل بالتالي إلى فرضية[5]، ويعرفه "غرانجرgranger" بأنه هو تبيان وجود إرتباطات دائمة بين بعض الوقائع المحددة والتي يستخلص منها أن الظواهر المدروسة

1- يوسف الصديق، المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة، الدار العربية للكتاب، سنة 1976 ، ص45
2-المرجع نفسه، ص58
3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ص64
4-jacqueline Russ ,dictionnaire de philosophie, bordas,1991,p103
5- ibid, jacqueline Russ , p635

منحدرة عن تلك العلاقات. وعند بعض الفلاسفة مثل "ديلتاي"وبر"ياسيبر"التفسير عبارة عن طريقة مثلى العلوم الطبيعية بالمقارنة مع الفهم الذي يطبع العلوم الإنسانية.[1]

المفهوم الثالث هو الفهم compréhension ويعرفه المعجم الفلسفي jacqueline Russ من أصل لاتيني comprehensio وهي عملية إدراك المجموع[2]. ونقول يفهم comprendre أصل الكلمة لاتيني comprehendre بمعنى الإحاطة في المجموع، يعني إحاط فكريا ثم عرف على حسب منهج حدسي وتركيبي. وبوجه عام يعرف أنه القدرة على الإدراك والتفكير وهو إعطاء المعنى عن طريق العقل من أجل توضيح فكرة معينة، والتمثيل والتحقيق وهو الملاحظة والرؤية عن طريق إبداء موقف معين، والفهم هو معرفة تحليلية إستدلالية التي تنشأ من تحليل وتفكيك المفاهيم ويعرف وجوديا حركة دياليكتيكية للمعرفة التي تفسر الفعل بواسطة المعنى المدلول النهائي إنطلاقا من شروطه الإبتدائية[3].

يعرف إبستيمولوجيا أنه معرفة حصلت بالتداخل البسيكولوجي، منطقيا يعني مجموع الخصائص التي يتوفر عليها تصور أو مصطلح ما والفهم مرتبط بمصطلح التعميم extension.

الفهم عموما هو إعطاء المعنى عن طريق العقل من أجل توضيح فكرة معينة وفي العلوم الإنسانية نضع الفهم مقابل التفسير، ويعرفه الفلاسفة تعريفات مختلفة بإختلاف أرائهم حيث نجد الفيلسوف الألماني "جاسبيرJaspers" يعرفه بأنه لتجنب سؤال فهم والغموض نخصص مصطلح يفهم comprendre للدلالة على المعرفة المتحصل عليها من خلال التداخل النفسي، فلا يمكن أبدا تسمية إكتشاف رابطة موضوعية بين سبب ونتيجة ملموسة من الخارج بواسطة مناهج العلوم الطبيعية بالفهم لكن بالعكس نسميها دوما بالتفسير explication[4].

1-Isabelle Mourral, Louis Millet, Petite encyclopédie philosophique, nouvelle édition, universitaire, p118

1202- ibid, jacqueline Russ , p

95 3-la rousse, dictionnaire du français, collage direction, jean du bois, p1

4- ibid, jacqueline Russ ,p104

أما "أوللموUllmo"يقول أن كلمة"يفهم"اليوم تعني قدرة الإعادة، إذ أي تصور يكون مفهوما عندما يملك تعريف العملياتية وملحقاتها opératoire أي ظاهرة تكون مفهومة عندما نكون قادرين على إعادة إنتاجها على الأقل بصفة إفتراضية، وبالتالي على التنبأ بها فالفهم هو القدرة، ويعرفه"غرانجرgranger" كلمة يفهم تعني إعادة إحداث إحساس بطريقة حدسية هي تقدير وهي إنفعال أفهم مضمون قضية أتقبلها على كونها واقعة معاشة[1]. نجد"أرنولد Arnauld" و"نيكول Nicole" يعرفانه بأنه هو فهم الفكرة على الخصائص التي يتضمنها في ذاته، والتي لا يمكننا إنتزاعها منه دون تحطيمها مثلما يحيط فهم فكرة المثلث بالتعميم الشكل ثلاثة مستقيمات ثلاثة زوايا مساواة هذه الزوايا الثلاثة لمستقيمين[2].

يعرفه "ليبنزLeibniz" بوجه خاص هو الإدراك العقلي في مقابل الإدراك الحسي[3].كما هو وارد في مؤلفات "كانط Kant" يكون الفهم القوة التلقائية faculté وضيفتها الحكم على الربط بين الظواهر وذلك برد ظاهرة مشروطة إلى أخرى. أما الفيلسوف الألماني "ديلتاي Dilthey" فيطلق تسمية الفهم على المسار الذي به نتعرف على باطن، وبواسطة رموز متلقاة من الخارج من قبل حواسنا، على المسار الذي نتعرف به على شيء نفسي بواسطة رموز محسوسة تمثل تجليا للفهم فيقول كذلك أن الفهم هو أرغانون العلوم الإنسانية [4]. في فلسفة القرن العشرين الفهم هو منهج معرفي يعمل بطريقة حدسية وتركيبية وهو بمثابة الإحاطة بمعنى معين.

إذن بعد ما أسسنا لمفهوم التأويل الماهوي وجب أن نبحث عن أصوله ونشأته عبر تاريخ الأفكار ومختلف المعارف، وبالخصوص المعرفة الفلسفية بهذا المعنى هل هو مفهوم جديد؟ أم أنه نسابة ومنشئ كلاسيكي قديم؟ كيف تزامن مفهوم التأويل عبر العصور الفكرية؟ هل تعتبر أوروبا بيئته التي تبنته؟

1- ibid, p106.

12 - ibid, p 12

3- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، سنة1979، ص84

4- المعجم نفسه، ص86

علاقة الخطابة بالتأويل:

التفكير الفلسفي يؤسس لتاريخ ولأصل هذا التفكير الجوهري والماهوي الذي له علاقة بالمفاهيم الفلسفية، لهذا وجب البحث عن تفكير ما يجب أن نؤسس له من جهة ومن جهة أخرى البحث عن التفكير يعني أن نعرف الأصول الجينيالوجية له.

التأويل كمفهوم فلسفي له جذور قديمة بدأت مع البدايات الأولى للفكر الفلسفي فكان الإنسان اليوناني يقف حائرا أمام هذه الطبيعة التي بقيت كمصدر جوهري لديه، ومن ناحية أخرى كعائق يقف أمامه والكلام عن التأويل في الفكر الفلسفي كان حول أسس علوم الفكر، لهذا بقيت المعارف مختلفة حسب كل عصر توجد فيه. والإشكالية الفلسفية الأساسية والمتضمنة في علوم الفكر تتحدد في نظرية المعرفة وإنطلاقا من هاته النظرية يتم التأسيس لمفهوم التأويل كمصطلح فلسفي.

إذن كيف تأسس هذا المفهوم الجوهري عبر العصور الفكرية بداية مع اليونان بإعتبارها المنطق الأول لديه؟ وكيف إنتقل هذا المفهوم في المسيرة الفلسفية الفكرية؟

إن القصائد الهوميرية أقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليوناني وهي تؤلف قصتين هما الإليادة والأوديسا. وقد ذهب بعض النقاد المتأخرين إلى أنهما لطبقة من الشعراء، بحيث ترجع الإليادة إلى القرن التاسع وترجع الأوديسا إلى أواخره. و"هوميروسHomer" حفظ القصائد فنسبت إليه بإعتباره الجامع لها فإن إسمه يعني"المنسق"، ويرى فريق أخر بأنه ناظم القصائد.

من هنا بدأت البدايات الأولى لمفهوم التأويل خاصة وأن واحدا من الموضوعات التي شغلت حيزا كبيرا في المدرسة الكلبية، كان التفسير الرمزي لأشعار"هوميروس" وقد إستأثر هذا التفسير بجميع مباحث مجلدين من المجلدات العشرة التي صنفت إليها تأليفات "أنتستانس" و مغامرات "أوليس" مثلث في الأدب الرمزي اللاحق إنتصارات نفس الحكيم على مغريات العلم الحسي. وربما كان علينا أن نبحث لدى "أنتستانس" على أصل هذا التأويل ومعروف لدينا كيف وقف "أفلاطون Platon" في الجمهورية معتريا ومنوها بخطر هذا التعليم، بالنظر إلى أن الفتى يعجزه أن يميزه ما هو رمزي في القصيدة مما هو غير رمزي وكيف مد في محاورة"أيون" بتعسف شراح"هوميروس" وتنكبهم عن جادة الجلد.

يوجد مركز التأويل القديم كصورة لغوية، أو يقترب مما هو مبني أو أسطوري Allégorique كأسطورة الكهف تحتاج لتفكيك رموزها إلى التأويل. إن هيبونيا hyponoia المعنى الخفي، هي المعنى الأقدم الذي كان يشير إلى المعنى المذكور. إن تأويلا مثل هذا كان مطبق عهد"السفسطائيينsophistes" كما أكده "ج تات j tate" وكما أكدته الأوراق المصرية القديمة Les Papurus والمكتشفة حديثا[1].

إذن بعد هذه البدايات الأولى لتأسيس هذا المفهوم الجوهري والذي كان في بحثه الأول يعتمد على التفسير الرمزي، ثم إنتقل هذا المصطلح تدريجا خاصة مع السفسطائيين الذين إعتمدوا على الجدل والمغالطة، وكانوا يتاجرون بالعلم ولهذا كانت غايتهم ليس البحث عن الحقيقة بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي، ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ و دلالتها والقضايا وأنواعها والحجج وشروطها والمغالطة وأساليبها فخلفوا من الناحية الثقافية أثرا حقيقيا بالذكر.

أشهر السفسطائيين"بروتاغوراس Protagoras"و"جورجياسGorgias" فالأول نشر كتاب سماه "الحقيقة" وردت في رأسه هذه العبارة" لا أستطيع أن أعلم إن كان الألهة موجودين أم غير موجودين فإن أمور كثيرة تحول بيني وبين هذا العلم أخصها غموض المسألة وقصر الحياة". فأتهم بالإلحاد وقد وصلت إلينا من الكتاب المذكور عبارة أخرى هي قوله:" الإنسان مقياس الأشياء جميعا هو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس ما لا يوجد".[2]

شرحها أفلاطون كما يلي:" قال يتبين معناها بالجمع بين رأي "هرقليطسHrkulaits" في التغير المتصل وقول"ديموقريطسDémocrite" أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة فيخرج منها أن الأشياء هي بالنسبة إلي على ما تبدلي وهي بالنسبة إليك على ما تبدلك ، وأنت إنسان وأنا إنسان".[3] يتابع أرسطوAristote أستاذه أفلاطونPlaton في تأويل عبارة بروتاغوراسProtagoras على أن لأفلاطون محاورة إسمها بروتاغوراس أقدم من تيتاوس Tetaosيصور فيها "السفسطائي حيا يرزق غير شاك لا كثيرا ولا قليلا".

1 -Hans Georg Gadamer,La philosophie Hermétique, Hermétique classique et philosophique, tradition et note par Jeneg rondin PUF ,p88

2- كرم يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم ، بيروت ، لبنان، ط جديدة، دت، ص46

3- المرجع نفسه، ص47

بينما يقول هو عنه في المحاورة الأخرى أنه مات من زمن طويل، ويورد مذهبه على أنه رأي خاص يختلف عما كان يعلنه للجمهور. أما"جورجياس"Gorgias" إشتغل بالطبيعيات مثله وعنى باللغة والبيان فكان أفصح زمانه، وأبلغهم فهو لديه ثلاثة حجج في الوجود، والمهم منها إلينا هي الحجة الثالثة التي يقول فيها أن وسيلة التفاهم بين الناس هي اللغة ولكن ألفاظ اللغة إشارات وضعية، أي رموز وليست متشابهة للأشياء المفروض علمها، فكما أن ما هو مدرك بالبصر ليس مدركا بالسمع والعكس بالعكس فإن ما هو موجود خارجا عنه مغاير للألفاظ فنحن ننقل للناس ألفاظنا ولا ننقل لهم الأشياء فاللغة والوجود دائرتان متخرجتان. في مرحلة العصور الوسطى المسألة التأويلية نستطيع تلفيقها بثلاثة أبعاد أو مواقف على حسب التسلسل الأركيولوجي بمعنى يمكن القول أن التأويل له ثلاثة أبعاد:

التأويلـ أصل اللغة – الفهم- فهم التجربة الأولية

1- ما يمكن تسميته بالرمزية الطبيعية، وينطلق أساسا من أصل اللغة لأنه يختص بإيجاد مميزات القول الشعري والأسطوري وبالتالي التركيز على بنية تعبيره، فالموضوع التوراتي الخاص بالسقوط و المنفى سيفهم بفضل قوة كلماته الموحية والمترجمة لها في كل فترة من التاريخ، فالرموز تقبل للمعنى المستتر للنص.

2- الفهم يعتمد على التكرار وتكون النماذج تلي مرحلة الرموز، والفهم سيكتمل مع اللغة التي هي"ضوء الإنفعال" هي المفتاح الذي يسمح بإعادة إكتشاف عالم الرموز نفسها سنجد الأشكال المختلفة للتعبير عن التجربة الأصلية المتعلقة بموضوع المنفى.

3- الموقف الثالث طابعه وجودي، مرتبط بفهم التجربة الأولية نفسها، كانت مهمة الهرمينوطيقا دائما إصلاح الإتفاق الغائب أو المختل، ويمكن لتاريخ الهرمينوطيقا أن يؤكد ذلك وكدليل على ذلك القديس أوغسطين Augustin عندما كان من الواجب أن يتصالح العهد القديم مع الرسالة المسيحية أو في النزعة التطهيرية Protestantisme التي واجهت نفس المشكلة.

يشير التأويل إلى فن تأويل النصوص المقدسة، فالأمر يتعلق بمؤسسة قديمة جدا سمحت لأباء الكنيسة من إكتشاف الوعي المنهجي، فنجد "أوغسطين" في النظرية الدينية Doctrina Christina عمل الدوغمائية المسيحية، أتي من الضغط الموجود بين التاريخ الخاص للشعب اليهودي والذي فسره الكتاب المقدس الأول على أنه معنى لتاريخ السلام وبين الوجود العالمي للمسيح في الكتاب الجديد. يذكر "أوغسطين" في

نظريته كيف أن الروح L'esprit ترتفع فوق المعنى الإنساني والأخلاقي، أي إلى المستوى الروحاني Spirituel و بالتالي فهو يحل المشكلة الدوغمائية ملخصا إرث التأويل القديم.

إهتمت الهرمينوطيقا بإشكالية قراءة الكتابات المقدسة اللاهوتية والنصوص المقدسة مما دفع بـ "ماتياس فلاسيوسMatias Flacius" إلى الثورة على سلطة الكنيسة، في مسألة مصادرة حية قراءة النص المقدس ليقترح أولية التراث في تأويل بعض المقاطع الغامضة من النص و طابع الإستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه. لكن ما هي المواضيع التي يؤسس لها التأويل عند ماتياس فلاسيوس؟

إن تأويل الإصلاح عند "فلاسيوس"يلح على أن رسالة الكتاب المقدس كانت مغايرة للفهم الطبيعي المسبق لدى الإنسان أصبح الإيمان هو وحده الذي يسمح بالتكفير عن الخطايا، ومع الوقت تزايد دور الإيمان في المعتقد المسيحي والأهمية المتزايدة في الكنائس المسيحية لتفسير الكتاب المقدس من خلال الخطب يظهر ما هو الدور الحقيقي للتأويل اللاهوتي. في مرحلة الأنوار تم التخلي تقريبا عن فكرة الإتفاق ومساندة فكرة أن الفهم المثالي لنص معين غير ممكن إلا عن طريق التفسير التاريخي.

يرى كل من"سبينوزاSpinoza وكلادينيوسCladinius"أن فن التأويل يعني الفهم الأساسي للنص أي فهم النص هو فهم حقيقة هذا النص على أن يشتمل هذا الأخير(أي النص) على معايير لغوية وفنية وكدا نفسية لحل بعض الإشكاليات الغامضة كمشكل المعجزات Miraclesفي النص المقدس.

فأول كتاب ذكر لفظ التأويل كان كتاب دانهاورDanhawuer سنة 1654، وفي هذا الكتاب نتمكن من التمييز بين التأويل الديني الفيلولوجي والتأويل القانوني.[1]"فريدريش أست Friedrich ast" أحد السابقين المباشرين " لـ شلايرماخر Schleiermacheوضع مفهوم خاص للهرمينوطيقا، على أنها تؤسس للإنسجام أو بالأحرى التوافق بين الحضارتين القديمة والمسيحية. أي ما هو صحيح في الحضارة القديمة منظور إليه من زاوية جديدة والتقليد المسيحي. بمعنى أن الأمر هنا لا يتعلق بتركيب بين سلطة التقليد والعقل الطبيعي، بينما بتركيب عنصرين من التقليد متنازعان في مقابل تصالحهما.

1-Hans Georg Gadamer,La philosophie Hermétique, Hermétique classique et philosophique, tradition et note par Jeneg rondin PUF ,p87

إن مهمة التأويل الفلسفي للنصوص القديمة هي في كشف كل قيمة البعد وفي إبراز أهميته الأساسية لمجمل فهمنا للعالم في كل تجلياته، بدءا من عمليات التواصل بين البشر وصولا إلى عمليات التلاعب الإجتماعي، ومند تجربة الفرد في المجتمع أو التجربة التي يجريها على المجتمع، ومند الزمن الذي دخل فيه الدين والقانون، الفن والفلسفة وصولا إلى الطاقة التحررية للتفكير الذي مارسه العقل الثوري. بذلك لفظ التأويل ليس جديدا، فقديما كان يعني التغلب على مسافة زمنية أو لغوية ما من المعنى ومع المحدثين وخاصة "ديلتاي Dilthey" إكتسب هذا المصطلح حمولة جديدة تتعلق بوضع قواعد كلية لفهم النصوص وبالتحكيم بين التأويلات وكدا بإعلاء التفسير Exégèse إلى مستوى العلم.[1]

بعد هذا التأويل، فإنه سيأخذ معنى أكثر إتساعا من وضع قواعد عامة لفهم النصوص وذلك نتيجة التحويل الذي قام به "مارتن هيدجرHeidegger Martin" من الإبستمولوجيا إلى الأنطولوجيا وهكذا ما يقصد بالتأويل ضمن هذا الأفق الجديد هو فلسفة التأويل التي تتجاوز المنظور الميتودلوجي لتصعد إلى شروط إمكانه والتي تتناول الطابع اللغوي للتجربة البشرية من جهة ما هو محايث لها وللوجود في العالم.[2]

يرى كل من "هيدجرHeidegger" "غادامرGadamer" "ريكورRicœur" أن التأويل لا يمثل الإشكالية الحقيقية في كل هرمينوطيقا، والمتمثلة في البعد الأنطولوجي للكائن الذي يتأول خطابا داخل العالم. هذه الإشكالية في نظر كل من ريكور وهيدجر ذات طابع وجودي تتمثل أساسا في فهم الكائن في العالم[3].

يقول"بول ريكور" أن كل عالم من العوالم قائم على اللسان منفتح بذاته على كل فهم ممكن وهو قابل للإشاع اللامحدود، وهكذا يصبح كل قول يقرأ تأويلا من خلال التجربة اللامحدودة التي يشير إليها وليس فقط كنص من جملة وحدات مغلقة، نقول من خلال جملة الوحدات اللامحدودة ونعني بذلك تجربة القائل المتكلم، وفي ذات اللحظة تجربة المتلقي، وهذا ما جعل "غادامير" يجعل من هذا التأويل الأنطولوجي لحظة منهجية يمكن أن يقام على أساسها هرمينوطيقا عامة ذلك أن كل لغة لها من

1- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، تينميل للطباعة والنشر الطبعة الأولى مراكش، سنة1992 ،ص09.

2- المرجع نفسه، ص10

3- حميد حمادي، رسالة ماجستير، مذكرة الجمالية والكشف الصوفي، النزوع الجمالي في التجربة الصوفية، محي الدين بن عربي، إشراف محمد عبد اللاوي سنة1993، 1994، ص135.

الإمكانية بأن تقول كل شيء، لذلك فإن كل لغة ليست الحد من تجربتنا وإنما هي فقط واسطة تقربنا من الأشياء[1].

إذن في التأويل الحديث والمعاصر هنا تتمثل أعمال كل من "شلايرماخر"، "ديلتاي" "هيدجر" "غادامير" الذين يتقاسمهم المشكل التأويلي. يرى"ريكور" أن هناك إهتمامان أنتجا عبر التاريخ الحديث للتأويل أحدهما يمثله كل من"شلايرماخر وديلتاي" وينطبع بالتوسيع التدريجي للنظرة التأويلية، بمعنى إستعاب تأويل عام متضمن لتأويلات جهوية وهذا الإهتمام يلحق بالعمل الإبستيمولوجي للتأويلية، بمعنى أكثر عمقا هو الإهتمام الأنطولوجي الذي يتوقف معه عن كونه مجرد ضرب من ضروب المعرفة ليصبح إحدى كيفيات الوجود.[2]

مع رواد التأويلية الحديثة أي كل من "شلايرماخر وديلتاي" حيث أول من عمل على إخراج التأويل من جهوياته، وكذا أول من قام بمحاولة إستخراج مشكل عام للفعالية التأويلية بإختلاف النصوص التي يمكن أن تشتغل عليها، ففيلولوجيا النصوص الكلاسيكية المنحدرة من العصور اليونانية اللاتينية وكذا نفسر النصوص المقدسة للعهدين القديم والجديد هما ضربان للتعامل مع النصوص قبل "شلايرماخر".

إذا قلنا في هذه خطوة حقيقية للتأويلية الحديثة التي تتبلور فيها أهم ملامح المشكل التأويلي، إلا أنه وسم بطابع نفساني متمثل في التخمين والتكهن، وذلك لوقوعهم تحت تأثير نزعتين متنافرتين المتمثلتين في النزعة المتولدة من الكانطية والنزعة الرومانسية. فالأولى نجلب من خلال بلورة قواعد كلية صالحة للفهم وكذا من خلال مشروعهم في دحر عدم الفهمmécompréhension والثانية مايتبين من خلال دعوتهما إلى معايشة حية لصيرورة الإبداع، وكذا من خلال إدعاء إمكان تقمص الحياة النفسية للآخرين والقدرة على فهم كاتب ما أكثر مما يفهم هو نفسه.[3] ومن التمزق بين هاتين النزعتين المتعارضتين سيشق "شلايرماخر" ومن بعده"ديلتاي" أعمالهما.

يرى "شلايرماخر" أن هناك ضربين من التأويل، لكل واحد طابعه فينتج الأول ويسميه بالتأويل النحوي L'interprétation grammaticale أو الموضوعي بمعنى تحديد

1- الرسالة نفسها، ص137.
2- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، ص31.
3- المرجع نفسه، ص33

دلالة الكلمات إنطلاقا من الجمل التي تركبها. التأويل اللغوي هو إذن فن إيجاد المعنى الدقيق لخطاب معين إنطلاقا وبمساعدة اللغة.[1] ويتبنى الخصائص العامة للخطاب في ثقافة ما ويهتم بخصائص لغوية متميزة ومستقلة عن المؤلف، وينتج الثاني ويسميه بالتأويل النفسي أو التقني l'interprétation psychologique ويعتمد على بيوغرافيا المؤلف بمعنى حياته الفكرية والعامة وكذا الدوافع والحوافز التي دفعته للتعبير والكتابة.أي يهتم بالفردانية ويرى"شلاير ماخر" أن هذا التأويل تخمينيا أو تكهنيا وبالتالي المقارنة هي الطريقة المنهجية له بمعنى يميز الفروق التي تميز كل فردية عن غيرها. لا يمكن القيام بالتأويلين في نفس الوقت كما يرى "شلايرماخر" أما الإهتمام بالفردي أو بالعلم بالرغم من أنه يحكم بالسلبية على التأويل النحوي الذي يخدم النوع الثاني.

والفصل بين التأويلين تضافر مع "شلايرماخر" مع صعوبة الفصل الحقيقي أيضا بين الطابع التخميني والتكهني، لإدراك الذات الفردية وبين ما يحاول السيطرة به على هذه الصعوبة من مسلك للمقارنة.[2] علاقة النص والعمل الفكري بذاتية مؤلفه بوضعها كرؤية جديدة وتحويل إهتمامنا من البحث عن الذوات المتخفية في النص نحو العالم يفتحنا عليه النص، يرى "ريكور" أنه يمكننا تجاوز هذه الصعوبات في نفس السياق"ديلتاي" يعالج الشكل التأويلي من الزاوية الإبستمولوجية، حيث دمج العلوم التفسيرية والتأويلية في مجال العلوم التاريخية، وبذلك توسعت أفق التأويل وإتسمت أعماله بتعارض كبير يتمثل بين تفسير الطبيعة وبين فهم الروح والتاريخ.

بذلك نفهم عمل"ديلتاي" على أنه نظرية للمعرفة لأنه وجب عليه تطوير المدرسة التاريخية ونقد العقل التاريخي بشكل واعي. يعتبر "ديلتاي" واضع الفلسفة في التأويل لأنه تجاوز نقطة الإنطلاق الإبستمولوجية وفي نشاطه لإيجاد أساس لعلوم العقل، "ديلتاي" كان في صراع مع المدرسة الإبستيمولوجية التي حاولت تأسيس علوم عقلية وفق وجهة نظر كانطية جديدة فلسفة القيم المحللة من طرف "ويندلباند Windelband "وريكارتRickert".

رأى أن التجريدية طعن على الموضوع الإبستمولوجي وبالتالي بحث عن الموضوعية في علوم العقل، والعالم التاريخي ليس تسلسل الحوادث المعاشة بشكل

1- Schleiermacher, Herméneutique, l'odeur du book, paris, France ,anné1977,p117

2- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، ص34

ذاتي كما هو في التاريخ الذاتي Autobiographie فلتسلسل التاريخي دال signifiant متجاوز كل حادثة ذاتية إنه النص الغريب الذي من شأن فن التأويل الهرمينوطيقا أن تفسيره، وبذلك "ديلتاي" بحث عن كيفية الإنتقال من علم النفس إلى التأويل، إلا أنه من المتعذر علينا الإمساك بالحياة النفسية للأخرين في تغييراتها الفورية وبناؤها يكون من خلال تأويل العلامات التي تتخارج عبرها أي تأويل تغيرات الحياة عن طريق الكتابة، لأن تأويل المشكل السيكولوجي ولو بتوسط العلامات يعني التموضع في الحياة النفسية للأخرين.

لمجاوزة نقص عمل "ديلتاي" علينا أن نتخلى عن ربط قدر التأويلية بالتفسيرات النفسانية وأن نربط النص بالعالم الذي يفتح عليه، وكذا بمعناه الداخلي لا بنائية مؤلفه أو بعالمه النفسي.[1] فالمبدأ الأساسي للهرمينوطيقا أو فن التأويل الحديثة مع "ديلتاي" هو فهم النص إنطلاقا من النص نفسه لا المذهب الذي تنتمي إليه. إن الفهم يستند في هذا الإطار لا على التفسير اللاهوتي في معالجة النصوص وإنما بالتطبيق المنهجي لقواعد التأويل من لغة ونحو ومنطق وترجمة.[2] جزء من تطور التفكير التأويلي مقيد بمشكل التاريخانية وتبدأ مع "ديلتاي" حيث ظهرت مؤلفاته في العشرينات كمرآة عاكسة لأفكار ترولتسTroeltsch وإرتباط"ديلتاي" بالتأويل الرومانتكي أبرز إنتقاذا لذى الموضوعانية التاريخية الكونت يورككompte York بيتي Betti روت هاكر Rot hacker . وهذا خلال علاقته بالنهضة الفلسفية الهيجلية لعصرنا كما ترك أثارا مرئية في البحث التاريخي والفيلولوجي."هيدجر" لم يصحح المسار الفينومنولوجي فحسب ولم ينتقده من التجريدية الهوسرلية بل أعاد إلى الفلسفة، دور الكاشف لمعنى كل ما ليس له معنى من الظروف والأحوال والظواهر التي تغمر الحياة الإنسانية.

إن "هيدجر" مؤسس دور العقل وهو بذلك يعتبر مؤسس منهج التأويل في الفكر الغربي المعاصر، على ألا يفهم من التأويل ما يحيط بهذا اللفظ من مصطلح تراثي في اللغة العربية بل ينبغي إعطاءه معنى دلالي بإعادته إلى جذوره فعل أول أي

- المرجع نفسه، ص35 1

2- محمد شوقي الزين، فن التأويل، المشكل المنهجي والإبستمولوجي لدلالة الفهم، في النقد والتأويل نص مداخلة، وهران، سنة1996،ص6.

أرجع موضوع التأويل إلى دلالته الأولى.[1] في الواقع فقد إكتشف"غادامير" ذلك التحول الحاسم في فهم الفلسفة من حيث أن هدفها إعادة تأويل المعرفة عبر تجلياتها النظرية و اللغوية والعملية، وقد حاول أن يطبق التأويل من حيث هو أصل المناهج كلها على العلوم الإنسانية واللغوية وأيضا هي مناهجها بما يمكن أن تقدم من تأويل متكامل لواقع الإنسان.

فحاول في كتابه "الحقيقة والمنهج" أن يثبت كلية التأويل عندما أعاد تحليل المنهجيات في الفن كما في العلوم الإنسانية التي يدعوها علوم الفكر، ثم عبر الفعالية اللغوية وقد رأى أن اللغة حاضرة في أساس كل علم عبر تشكيل الأسئلة والفرضيات، التي تحاول إعطاء الأجوبة خاصة أن التأويل الفلسفي الذي يقصده "غادامير" يتناول كلية الثقافة من أجل إعادة قراءتها وإكتشاف متغيراتها عبر تحولات الواقع ماضيا وحاضرا.

لعل أهم مهمات التأويل هي مراجعة القراءات الكبرى لثقافة التأويلات الشمولية إعتبارا من اليونان وصولا إلى مذاهب"هيجلHegel" "ماركس Marx" "فرويدFreud" "فهيدجرHeidegger" وهو ما حاول أن يحققه " غادامير" نفسه على "هيدجر" ولكنه يطمح إلى تجديد الهم الفلسفي الأصيل الفكر أو المناقشة الدينية قدم مشكل التأويل كموضوع أولي لأنه سبب أفكار دينية ودوغمائية.

كان يجب إيصال الإرث الديني التاريخي وبذلك نجد تعليق "كارل بارت" Karl Barth في كتابه" L'esprit aux romains أول نقد ثوري على علم الدين الليبرالي وهذا الأخير لم يكن ليتهجم على التاريخ النقدي، كما يتهجم على علم الدين المتميز بالسهولة في إمتلاك النتائج التاريخية و إعتبارها قراءة مقدسة ومن هاته الفكرة يعتبر هذا الكتاب نوع من الثورة التأويليةmanifeste herméneutique.

يبقى النقاش حول مشكل التأويل مجدد من خلال الإرادةIntention الدينية والتاريخ النقدي أمام هذه الحالة، كما تبينها أبحاث كل من "أتوOtto" "أبلينغAbling" "فوتش Fuchs" يضعون في المرتبة الأولى وبشكل ضئيل ميزة البحث الديني على المساعدة، التي يمكن أن يقدمها التأويل للإيمان الديني الذي يريد أن يتخذ موقفا إزاء تطور المشكل التأويلي داخل التفكير القانوني لا يمكنه تعميق عمل رجال القانون

1- حسن بن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، مرجع سابق، ص36

ويتساءل دائما حول ما إذا كان من الممكن أن تحل مشكلة التطبيق La concrétisation في القانون.

سنة 1953"كورت إنجيش Kurt Engisch" يرى أن هذا الموضوع يكون قابلا للفهم في الإطار التاريخي، وهنا يظهر تاريخ القانون الخاص في العصور الحديثة" "لفرانس وياكر Franz Wiechert" منهجية علم القانون" كارل لورنزKarl Lorenz". من هنا نحكم على أن المجالات التالية العلوم التاريخية الفيلولوجية علم الدين والقانون كيف أن النقد الوضعاني أو الموضوعي قد أعطي للتأويل معنى جديد.

نظرية عامة حول التأويل"teoria generale della interpretazione" هو عنوان كتاب لباحث إيطالي"إيميليوبيتي Emilio Betti"[1]، حيث في هذا الموضوع من بحثه حاول كيف يستنتج الكلية من الفكر التأويلي، إبتداءا من "ويلهايم فون هوميولدتWilhelm Von Humboldt" و" شلايرماخر"، بحث "بيتيBettiعن الوسط الذي يمكن أن يوجد بين العنصرين الموضوعي والذاتي لكل تفكير، ومن ثم وضع مجموعة من المبادئ التأويلية وعلى رأسها إستقلالية معنى ما كان يريد قوله المؤلف يكون من خلال النص نفسه.

الزمن الحاضر للفهم مبدأ أخر من مبادئه، أي التكيف مع الموضوع ويقصد منه أن علاقة المؤول بالمكان الذي يكون فيه مهم لكل حقيقة تأويلية، كما أنه لا يرفض الرأي الذاتي. ويرى أن الفهم هو إعتراف وإعادة بناء للمعنى، ويقول من الفكر الذي من خلال أشكال جعل الأمر موضوعها يتكلم إلى الفكر الذي يحس أنه مشخص في إنسانيتها المشتركة، إنه جمع وربط هذه الأشكال مع الكل الداخلي الذي ولدها أما هي فتركته أنها عملية تدخل أو إدخال لهذه الأشكال.

صحيح أن محتواها من خلال ذلك محول إلى ذاتية مختلفة عن الذاتية البدائيةprocessus ففي مسيرة التأويل هذه أنت أمام إنقلاب للسيرprocessus الخالق إنقلاب بحيث يكون المؤول في عملية تأويلية أمام عملية إجتياز طريق الخلق بالمعنى المعكوس، والذي يكون من واجبه ذاتيته إنتاج ذلك من خلال الفكر. يتبع "بيتي" في ذلك "شلايرماخر" ويظن بضمان هذا التيار النفساني المسيطر والرومانتيكي

1*- Betti Emilio،إميليو بيتي مؤرخ إيطالي للقانون ومدرس له مدافع عن كراوس جنيتل متكيفا مع الفلسفة الألمانية التي جعلته يتكلمها ويكتبها.

"موضوعية" الفهم كما يظن أنها مهددة من طرف الذين يتبعون"هيدجر" ويفشلون في ذلك لأنهم ذاتيون في تفكيرهم.

نجد أعمال"إريك روتكازErich rotkez" وبالأخص واصل أفكاره السامعة على الهدف التأويلي "لديلتاي" ضد أي تيار نفساني، أن مفهوم شكل الفكر الدوغمائي هو أمر شرع فيه على أنه مفهوم تأويلي يجب أن يدافع عن الدوغمائية كطريقة منهج منتجة للمعرفة في علوم العقل، كما يرى"روتكاز" ضرورة فصل مشكل التأويل عن كل عمل نفساني للنوايا les intentions أي عن المعنى الذاتي للنص.

ليس من اللائق إعتبار التأويل القانوني جزءا من إشكاليات التأويل العام، لأن الأمر لايتعلق بتفكير من النوع المنهجي كما هو الحال في الفيلولوجيا والتأويل المسيحي ولكن الأمر متعلق بمبدأ في القانون وليست مشكلة هو ما يتعلق بفهم المقولات القانونية المقبولة، ولكن بإكتشاف القانون أي تأويل القوانين أو الأحكام بحيث يعم النظام كل الواقع لأن التأويل هنا يأخذ وظيفة قيمية، إنها منفصلة من طرف "بيتيBetti" عن التأويل الفيلولوجي، وحتى منه هذا الفهم التاريخي الذي يتميز بموضوع ذو طبيعة قانونية"مواثيق أحكام"و لا يمكن الإقرار بأن تأويل الحكم بالمعنى القانوني هو نشاط إبداعي للقانون.

من البديهي أن التأويل القانوني لا يمكنه إستعمال المبدأ الذاتي للرأي وللنية البدائية للمشروع وهذا كقانون تأويل، وفي كثير من الحالات لا يمكنه تجنب إستعمال مفاهيم موضوعية كمفهوم الحق الذي يعبر عن نفسه في حكم معين. مصطلح التأويل قديم لكن هل هو مهمة نظرية وتطبيقية؟

إن الكلام اليوم عن التفسير والترجمة أو ببساطة عن الفهم هو أيضا سابق لفكرة علم منهجي مثلما طورته العصرنة في الإستعمال الحديث للمصطلح، ينعكس بغرابة مظهرين الإشارة بالمرة النظرية والتطبيقية لما يتضمنه التأويل، ومع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت كلمة التأويل عند بعض الكتاب بأن هذا المصطلح أتي من دون شك من علم اللاهوت يدخل في الإستعمال العام وبأنه كان يشير فقط في الملكة التطبيقية للفهم.

إن الكلام اليوم عن التفسير والترجمة أو ببساطة عن الفهم هو أيضا سابق لفكرة علم منهجي مثلما طورته العصرنة في الإستعمال الحديث للمصطلح، ينعكس بغرابة مظهرين الإشارة بالمرة النظرية والتطبيقية لما يتضمنه التأويل، ومع نهاية القرن

الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر كانت كلمة التأويل عند بعض الكتاب بأن هذا المصطلح أتي من دون شك من علم اللاهوت يدخل في الإستعمال العام وبأنه كان يشير فقط في الملكة التطبيقية للفهم.

إن تردد كلمة مثل التأويل بين معنى تطبيقي ومعنى نظري، فذلك ليس بالحالة الوحيدة، إننا نتكلم مثلا عن منطق أو غياب المنطق في العلاقات الإنسانية اليومية لكن دون الإعتبار من ذلك لوجود ميدان فلسفي خاص هو المنطق، كذلك الحال بالنسبة للخطابة التي تساعدنا على الإشارة بالمرة إلى تعلم فن الكلام، وأيضا تطبيق هبة طبيعة وهبة الكلام غير كافية طبيعيا لا يمكن أن تعوض بتعلم منهجي، كذلك الحال بالنسبة لفن الفهم وبالنسبة للتأويل، وليس ذلك من دون أهمية بالنسبة لنظرية العلوم. ما هو هذا العلم الذي يظهر أنه يطور الهبات الطبيعية ويشجع على الفهم النظري؟ كيف يمكن تصنيف فن الفهم؟ هل التأويل هو قريب من الخطابة أم أنه يجب تصنيفه إلى جانب المنطق ومنهجية العلوم؟

هذه التساؤلات تظهر بأن مفهوم المنهج القاعدي بالنسبة للعلوم الحديثة قد عوض مفهوم"العلم" الذي كان منفتحا على الملكات الطبيعية للإنسان، إن في كل إرادة للمعرفة حتى في تلك الخاصة بالعلوم الحديثة للطبيعة، هناك تدخل لبعد التأويل هذا الأخير يشغلنا وهو الذي عرفته بالخطابة تعتبر مركزية حتى وإن كنا نجهل بأن التأويل الحديث هو نوع من البناء الذي تطور بالموازاة مع الخطابة إبان التجديد.

إن الفكر الأرسطي الراجعMelanchthon إلى فن الخطابة المتصورة من وجهة نظر نظرية العلوم، هي التي تفيدنا كهادي إن ملكات الكلام والفهم هي ملكات عامة يمكننا الكلام حول كل شيء وكل ما نقوله يجب أن يستطاع فهمه. من هذه الوجهة فإن الخطابة والتأويل جد مرتبطين، إن التحكم المدروك في هذه الملكات للكلام والفهم يظهر كاملا، عندما يتعلق الأمر باللجوء إلى الكتابة بتدوين" خطابات" وفهم نصوص مكتوبة يمكننا النظر في التأويل بأنه فن جعل الأشياء التي قيلت أو كتبت تتكلم من جديد فقط الخطابة هي التي يمكنها تعليمنا ما هو هذا الفن.

تساءلت نظرية العلوم حول ماهية الخطابة التي تعتبر كعلم، حول الذي يجعلها فنا بالإنطلاق من التناقض المشهور بين فلسفة وخطابة في النظام التعليمي الإغريقي، فإن "أفلاطون" تساءل إذا ما كانت الخطابة معرفة بعد ما أرجع في مؤلفهGorgias الخطابة إلى فن المدح، بعد مقارنتها بفن أخر وعارضها مع كل معرفة

فعلية، فإن أفلاطون ركز في مؤلفه Phèdre على إعطاء أكثر عمقا للخطابة وعلى إيجاد تبرير فلسفي لها.[1]

مثل هذه الخطابة لها نفس الميل إلى التعميم مثل الجدلية، إذ أنها غير منحصرة في ميدان معين مثلما هو الحال عادة بالنسبة لحسن التصرف المختص technoلذلك فإنها كانت في صراع مع الفلسفة وأنه كان بإمكانها التنافس معها بإعتبارها تعليما تحضيريا عاما. والحال أن مؤلف Phèdre يبحث على إيضاح بأنه إذا أرادت مثل هذه الخطابة الهامة تجاوز الإطار الضيق لتقنية معدلة فإنها تنتهي بالضرورة بالإدماج مع الفلسفة مع مجمل المعرفة الجدلية، هذا التوضيح يهمنا لأن براهين Phèdre لأجل جعل الخطابة أعلى من مجرد تقنية وجعلها معرفة تقنية فعلية techno حسب تعبير "أفلاطون" يجب أن نتمكن من الإنطباق على التأويل، فن الفهم هذا. هكذا يتعلق الأمر بالخطابة الفلسفية المتبناة من طرف"أفلاطون" وبالتالي التأويل يمكن للخطابة إذن أن تكون مجرد تقنية، أو علم إذا جعلت من نفسها جدلية وحده يعرف فعلا خوض خطاب ذلك الذي يمكنه الإجابة لأنه قادر على الإقناع يمكن أن يكون هذا أيضا فنا.[2]

حلقة فن التأويل:

يعود الفضل إلى "فلاسيوس felacejus" في تأسيس حلقة فن التأويل وهذا حسب رأي "ديلتاي" والتي تنقل من الفهم الكلي للمعنى، الذي يختزنه النص إلى فهم أجزائه بمعنى أن التأويل يعود إلى الفهم الكلي للنص على أن تفهم أجزاء هذا الأخير النص وعكسه. على سبيل المثال تأويل الكتب المقدسة كما يرى "ديلتاي" بفهم كل كتاب أو بالأحرى كل مقطع إنطلاقا من الدلالة العامة لمجموع الكتب، وهاته الدلالة تشكل من فهم كل جزء على حده، إلا أن "ديلتاي" ينتقد "فلاسيوس"على أن قراءة كل كتاب تختلف بإختلاف الظروف التاريخية والإجتماعية وكذا الإستعمالات اللغوية.

كما يرى "غادامير" القاعدة الهرمينوطيقية ترى أن الكل يجب فهمه إنطلاقا من الخاص والخاص إنطلاقا من الكل متأثرا من فن البلاغة القديم، وهو منطبق مع الأزمنة الحديثة التي نقلت ذلك من فن الخطابة إلى فن الفهم في الحالتين نقوم بعملية

1- Paul ricoeur,lecture2,la contrée des philosophies, édition de seuil, p125

2 - pascal Michon ,condition théoriques d'une histoire du sujet(2)séminaire1996 1997,papiersn39,septembre,1997,p15.

دائرية التنبؤ، بالمعنى حيث سيكون الكل في ذلك مستهدفا لا يسمح بفهم واضح إلا إذا عينت الأجزاء المحددة تبعا للكل. هي أيضا هذا الكل وهذه التجربة تقوم بها في تعلمنا اللغات الأجنبية نحن أولا نتعلم تكوين جملة قبل محاولة فهم المعنى اللساني لأجزائها، لكن مسار التكوين هذا الإرتقاب إذا كان يقتضي ذلك ولكن الإرتقاب تتغير نبرته وأن إرتقاب جديد للمعنى هو الذي يوفر للنص وحده المعنى ومن هنا حركة الفهم تنطلق دائما من الكل نحو الجزء تعود للكل إنسجام كل الأجزاء مع الكل، هو في كل مرة معيار صحة الفهم وغياب هذا النوع من الإنسجام يدل على إخفاق في الفهم.

ميز "شلايرماخر" هذه الدائرة الهرمينوطقية عن كل وعن الجزء تبعا لشقها الموضوعي والأخر الذاتي فالكلمة الخاصة تندرج داخل سياق الجملة، ومن جهة أخرى النص نفسه المفهوم على أنه تمظهر للحظة الخلق هو جزء من كل الحياة الروحية للمؤلف لا يمكن للفهم أن يكتمل إلا ضمن شمولية من هذا النوع بنظامها الموضوعي أو الذاتي.[1] "ديلتاي" يستلهم من هذه النظرية عندما يتحدث عن البنية وعن التمركز حول نقطة مركزية الشيء، الذي يسمح بفهم الكل بمعنى أنه يحول مكان يعتبر مبدأ للفهم إلى العالم التاريخي أي مبدأ فهم النص إنطلاقا من النص نفسه.

هنا نتساءل عما إذا كانت الحركة الدائرية لفعل الفهم مفهومة بشكل جيد وبدون شك يمكننا أن نضع جانبا ما عالجه" شلايرماخر"ضمن ماسماه التأويل الذاتي، عندما نحاول فهم نص معين فإننا لا نستنسخ المكونات الروحية للمؤلف، وإنما نستنسخ وجهة نظره ولكن ذلك يعني فقط أننا نحاول تقييم الصحة الداخلية لما يقوله الأخر عندما نريد أن نفهم نذهب إلى غاية تعزيز حجج المؤلف.[2] فمهمة الهرمينوطيقا هي توضيح العمل الرائع للفهم.

التحليل الوجودي عند"هيدجر"يعطي من جديد البنية الدائرية للفهم مدلولها العميق،كتب"هيدجر" لا يمكن للدائرة أن تنزل إلى مستوى الدور الفاسد وتعرض نفسها لخطر إستمرار هذا الدور تختفي في الدائرة إمكانية موضوعية لمعرفة أصيلة أكثر، لا يمكن السيطرة عليها بطريقة صحيحة إلا أن فهم التأويل أن مهمته الأولى الثابتة والأخيرة ليست أن تعطي في كل مرة كسبها السابق، وإفتراضها السابق

1 - Hans Georg, Gadamer La philosophie Hermétique, Hermétique classique et philosophique, tradition et note par Jeneg rondin PUF ,p37

2- Ibid,p74

وتصورها السابق المرتبط بمفاهيم سائدة ولكن أن تؤكد طرحها العلمي إنطلاقا من الأشياء نفسها بعد فهمها وإعدادها.[1]

ليست صياغة"هيدجر" دعوة لممارسة الفهم ولكنه بالأحرى يتبين نموذجها لإنجاز التأويل الذي يبحث عن فعل الفهم قيمة التفكير الهرمينوطيقي عند"هيدجر"، لا تكمن في البرهنة على وجود دائرة الفهم ولكن على أن هذه الدائرة تمتلك معنى أنطولوجي موجب. يظهر هذا الوصف بديهيا عند كل مؤول يعرف ماذا يفعل في الواقع كل تفسير صحيح يجب أن يتجنب إعتباطية الأحكام الإرتجالية والتقيد المفروض، عن طريق عادات الف[2]كر المتجدرة حتى يمكنه أن يوجه إهتمامه نحو الأشياء ذاتها. إن الفلسفة والعلوم الإنسانية المعاصرة على وعي جدري بالمهمة التأويلية والعلوم الإنسانية وتطبيق نماذج مناهجها في العلوم الإجتماعية والأنتربولوجية.

"ليفي شتراوسLévi-Strauss" والنفس "لاكان دولوزLacan Deleuze" الإبستمولوجية" "ريكور ديراتني Ricœur diratne" إلا دليل موضوعي على التبني العام لمنهج التأويل من حيث هو تفسير المجهول بالمعلوم وإعادة تأسيس سياقات المعرفة الإنسانية كنتاج لغوي أولا يتطلب القراءة.

إن الهرمينوطيقا كمفهوم عند "غادامير" حددها في كتابه "حقيقة ومنهج"، لكن ماذا يعني بهذه الفلسفة الهرمينوطيقية؟ كيف نستطيع تمييزها عن التقليد الرومانسي الذي بدأ مع"شلايرماخر" الذي بحث عن تعميق الإتجاه الفيلولوجي القديم قبل أن يصل إلى هرمينوطيقا العلوم الإنسانية لـ"ديلتاي" التي يمكن إعتبارها منهجية؟

خاتمة:

التجربة الهرمينوطيقية التي فكر فيها "غادامير" إنطلاقا من مركز اللغة بما أنها الأصل في تجربة الإنسان، أي أن اللغة في مشروع الهرمينوطيقا الغاداميرية تجعل التأمل في اللغة حدثا نهائيا مقارنة بالتوسط الجدلي للمفهوم عند "هيغل".

هكذا يبقى مشروع "غادامير" الهرمينوطيقي لا ينحصر على الوعي الذاتي بل في الوجود وخاصة في الطبيعة اللغوية للوجود الإنساني في هذا العالم.

لقد حاول "غادامير" إنشاء أنطولوجيا جديدة تتجاوز فهم الوجود إلى حدث فهم الفهم، بدءا من السؤال السقراطي مرورا بأفلاطون وأرسطو وكانط وديكارت

1- Ibid,p 89

وهيغل وماركس وفرويد وصولا إلى السؤال الهيدغري. ونظريته التأويلية كانت المنعطف الأنطولوجي الحاسم le tournant الذي بدأ شعلته الأولى"هيدغر" لهذا تعتبر فلسفة "غادامير" تكميل لمشروع"هيدغر" الأنطولوجي فقد حاول إستعادة الذات المجردة في الميتافيزيقا التقليدية.

يقول بول ريكور:" يحملنا الرمز على التفكير" يظهر من قوله برمزية الوجود الإنساني، وبإنتماء العتمة الأصلية المغلقة لوجودنا للوظيفة الرمزية ذاتها، وللتباعد الصميمي القائم في وجودنا بين تعبيراته وبين الفراغات التي تتخلل هذه التعبيرات، والتي تحيلنا إلى كل عمليات كشف أوهام الذات وحضور الوعي، التباعد هو الذي يدفع"ريكور" إلى الأنطولوجيا على الطريقة الهيدجرية، غير أن وعيه بالتناهي لا يمنعه من العودة للمشكلات الإبستمولوجية للتأويلية، وهذا يعني أنه لئن أصبحت المعرفة تأويلا وإن كان الإمساك بالكائن لا يتم إلا بواسطة العلامات والرموز، فإن التأويل ليس عملا إعتباطيا غير قابل للتغير والضبط وإنما هو طريقة تحتاج بإستمرار إلى تنقيتها من شوائبها وإلى رسم حدودها.

إن النص تكثيف لتأويلات غير محصورة، غير أن التعدد لا يمنع أن هناك حقلا تأويليا يفتحه التنظيم البنيوي للنص ويقوم الإختلاف داخله، وواضح أن هذا التحديد لا ينطق نسق مفهوم الحقيقة ذاتها وإنما بالأحرى من مفهوم معدل لها في ضوء إنفجار نظامها القديم. يقول شارل تايلور Charles Taylor:"الإنسان أكبر من كونه مجرد حيوان عاقل، وإنما هو حيوان محكوم عليه بأن يتأول هو ذاته".

من هنا نفتح تساؤلا حول كيفية إستعادة الذات ؟وكيف يتم إرساء حوار بينها وبين اللغة بوصفها وطن الكينونة وأداة التواصل؟

المصادر و المراجع:

أولا باللغة العربية:

- بن حسن، حسن ، **النظرية التأويلية عند بول ريكور**، تينميل[1] للطباعة والنشر الطبعة الأولى، مراكش سنة1992.
- كرم، يوسف، **تاريخ الفلسفة اليونانية**، دار القلم ، بيروت ، لبنان، ط جديدة، دت.

ثانيا باللغة الفرنسية:

-Hans Georg Gadamer, **La philosophie Hermétique**,Hermétique classique et philosophique, tradition et note par,Jeneg rondin PUF.

-Isabelle Mural, **Petite encyclopédie philosophique**,Louis Millet,nouvelle édition,universitaire.

-pascal Michon,**condition théoriques**: d'une histoire du sujet,papiers n39 (2) séminaire, 1997.

- Paul Ricœur,**la contrée des philosophies**, lecture2, édition de seuil.

-Paul Ricœur,**revue esprit**,"ce qui me préoccupe depuis 30ans" nr8- 9, 1986.

-Schleiermacher,**Herméneutique**,paris, France, l'odeur du book, 1977.

الرسائل الجامعية:

- حمادي، حميد، رسالة ماجستير،مذكرة الجمالية والكشف الصوفي، النزوع الجمالي في التجربة الصوفية محي الدين بن عربي، إشراف محمد عبد اللاوي، جامعة وهران،1993.

المجلات والدوريات:

- شوقي الزين، محمد، **فن التأويل**، المشكل المنهجي والإبستمولوجي لدلالة الفهم، في النقد والتأويل، وهران نص مداخلة، 1993

المعاجم الفلسفية:

- يوسف الصديق ، **المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة**، الدار العربية للكتاب، سنة 1976

- مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، سنة 1979

- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

-Dictionnaire philosophique:

- la rousse,**Dictionnaire du français**,collage direction, jean du bois.

- la lande André,**vocabulaire technique et critique de la philosophie**,neuvième édition, 1962.

-jacqueline Russ,**dictionnaire de philosophie**, bordas, 1991.